

المرأة في شعر الفرزدق (قراءة تحليلية لمقدماته الشعرية)

أ.م.د. تغريد عدنان محمود الربيعي

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

07901558911

تاريخ التقديم: ٢١٣ في ٢٠١٧/٥/٧

تاريخ القبول: ٣٢٣ في ٢٠١٧/٦/١٣

الملخص:

الفرزدق ظاهرة متفردة في الشعر العربي قلما نجد لها نظيراً ، شخصية معتدة بنفسها يلفها العنفوان والشموخ والإباء والعزة . حظيت المرأة بمكانة متميزة عنده ، فقد وظفها في إبداعاته الشعرية ، إذ كانت مقوماً فنياً لمطلع قصائده بوصفها قيماً نصية. هذه المقدمات تخلق توازناً يدخل في صميم الصناعة الشعرية؛ لأنها أول ما تواجه القارئ ، وتصل إلى آذان السامع ، وتقع عليه عين القارئ .

هذه المقدمات على تنوعها وقصرها أحياناً بين النسيب، والأطلال، والشيب والشباب ، ووصف الطيف اتخذت من المرأة عنواناً وسبباً لها. وفي ضوء ذلك نستطيع الوقوف على العواطف الكامنة في نفس الفرزدق وملاحظة تجلياتها في رسم صورة للمرأة رمزاً لآماله وآلامه ويضع فيها كل ما يحسه ويجيش في صدره.

وبحثنا هذا هو الوقوف على الدلالة بوساطة استنتاج الدال/ النص (المقدمة) بوصفه إشارة حاضرة حتى يبوّح بمدلوله/ المعنى (الغياب) بوصفه مشاراً إليه يسعى المتلقي إلى الوصول إليه. فالمقدمات الشعرية تمثل استجابة لحاجة الفرزدق الإبداعية، فضلاً عن ذلك هي اجتهاد في إقناع القارئ بصدق تجربته النفسية، تُسهم في قراءة النص واستقباله لدى قارئه، والتفاعل معه مما يدعو للقراءة والتأمل وبطرح فيها على نفسه أسئلة تتعلق بما هو آتٍ:

هل هذا الغزل مقصوداً لذاته في التغني بجمال المرأة ، أو وسيلة فنية عبر فيها عن واقع حياته؟ هل كانت المقدمات انعكاساً لشخصية الفرزدق ومتنفساً له أمام الآخر بوصفها جزءاً ذاتياً ؟ هل حقق الانسجام الموضوعي والشعوري لدى القارئ - متلقي النص - ؟

إن جلّ دراستنا للمقدمات الشعرية هي ألا نقدم مطلعاً لقصيدة يُنظر إليها نظرة سطحية

فحسب، إنما نتعامل مع مدلولاتها وعلاقتها بالأغراض الشعرية .

Women in the poetry of Farazdak (an analytical reading of his poetic introductions)**Dr . Taghreed Adnan Mahmoud Al – Rubaie
University of Baghdad - College of Islamic Sciences****07901558911****Abstract:**

The Farzdaq is a unique phenomenon in Arab poetry that we rarely find a counterpart, a self-righteous personality enveloped by so Childesh, Shomokh, Fathers and glory. The woman had a privileged position, and he employed her in his poetic creations, as she was an artistic curator of the beginning of his poems as textual values. These introductions create a balance that enters the heart of the poetic industry, because they are the first to encounter the reader, and reach the ears of the listener, and the reader is located on it.

These introductions to their diversity and sometimes their brevity between the kinsman, the ruins, the graying and the young, and the description of the spectrum have taken a woman's title and reason. In this light, we can identify the emotions inherent in the same fractal and observe their manifestation in drawing a picture of the woman as a symbol of his hopes and pains and putting everything he feels and is in his chest. We considered this to be indicative of the mediation of the D/text (submitted) as a present signal to reveal its meaning (absence) as referred to by the recipient seeking access to it. The poetic introductions are a response to the need of the Creative Commons, as well as the diligence to convince the reader of the sincerity of his psychological experience, contribute to read the text and receive it with a reader, and interact with him, which invites him to read and meditate and ask himself questions concerning what is coming: Is this yarn intended for oneself to sing the beauty of a woman, or a technical means of expressing his life? Were the introductions a reflection of the character and breathing space in front of the other as a self-part? Did he achieve the substantive and emotional harmony of the reader-the receiver of the text?

Most of our study of poetic sponsors is not only to provide an insight into a poem that is viewed in a superficial way, but to deal with its connotations and its relationship to poetic purposes.

المقدمة:

ينماز شعر العصر الأموي بنضجه الفني الذي توافر له ؛ مما أدى إلى تطوره من حيث الشكل والمضمون، فقد كان للفرزدق خطه المتميز في بناء مقدماته الشعرية . ومن استقراء ديوانه لوحظ أن للمديح حضوراً فاعلاً في شعره ، فضلاً عن أغراضه الشعرية الأخرى فهو أكثر الشعراء مديحاً في العصر الأموي ، بل أكثر شعراء العرب ^١ ، هذه القصيدة التي لما نزل حاضرة في كل مكان وزمان .

وقد أرتأيت أن أدرس مقدمات قصائده الشعرية ، القصيدة التي قلما حاول الفرزدق أن يسير فيها على النهج الفني ، متمثلة في المقدمة والرحلة والغرض . فكل عنصر منها له وظيفته التي تؤدي إلى إبرازها بالمظهر والشكل اللذين يخدمان موضوع القصيدة . فمن الواضح إن الشاعر في بناء القصيدة العربية القديمة يعتمد أحياناً إلى التدرج في موضوعاتها ، وهذا نمط تقليدي التزم فيه معظم الشعراء .

تحاول هذه الدراسة الوقوف عند المقدمات الشعرية للفرزدق ، بوصفها الملمح الرئيس لدلالة المرأة في شعره، إذ إنَّ للمقومات الفنية للمطلع قيمة نصية توفر للنص أو الخطاب تماسكه وترابطه ، فضلاً عن الإنسجام الذي يبحث عنه المتلقي للوصول إلى مكان التلاقي والتلاحم بين المقدمة والموضوع . وحتى تصل الدراسة إلى الهدف المنشود قسمتها على تمهيد وأربعة مباحث ، تناولنا في التمهيد صورة المرأة فضلاً عن مفهوم المقدمات الشعرية ، وأما المباحث فاشتملت على : المقدمة الغزلية ، ومقدمة الشيب والشباب ، ومقدمة الطيف ، ومقدمة الطلل . ثم الخاتمة التي بينا فيها أهم نتائج هذه الدراسة .

التمهيد

المرأة عند الفرزدق مقدمة رائعة لفنونه الشعرية يحقق منها غايات خاصة ، وستارا فنيا للتعبير عن همومه وحقيقة مشاعره أمام الآخرين . وسواء أكان ذكر المرأة في مقدمة قصائده تعبيراً عن معاناة حقيقية ^٢ ، أم مجرد رموز يوظفها الشاعر للتعبير عن الحالة النفسية التي انتابته لحظة الحدث ^٣ ، فأنها تبقى في كل الأحوال بمثابة الباب الذي يدخل منه الشاعر إلى موضوعه . " فكان الحب عندهم تعويضاً والمرأة ملاذاً، لقد رأوا في حبها النعيم، وفي جمال جسدها اللذة المفقودة" ^٤.

هذا التمهيد أحياناً يكون مقصوداً من الشاعر يتخذه مؤثراً نفسياً في المتلقي من جهة ، ووجهة فنية يخفي وراءها أحاسيس ومكنونات نفسية يعكس من خلالها تجربة شعورية من جهة أخرى . لهذا أصبح من اللازم دراسة النص الشعري وعلاقته بمتقبله (المتلقي)، ما دام أي شاعر يكتب للناس ، وما دام القارئ هو الذي يمنح هذه الآثار الحياة . ولأجل ذلك نحاول تسليط الضوء على تلك الجوانب الفنية والجمالية التي تميز مقدمات الفرزدق من مستويات تلقيها . فالفرزدق يقدم

المرأة في صورة فنية قادرة على التأثير ، وهذه ليست ظاهرة فنية فردية تختص به ، إنما جماعية اجتماعية وجد الشاعر نفسه فيها - بوصفها جزءا ذاتيا - فهي رمز للجمال الذي يُحرّك في نفسه ميلا إلى الجمال المطلق وهو حب الحياة .

إن معيار الحكم النقدي القديم على جودة الشاعر ارتبط بعناصر جزئية تتمثل في أغزل بيت أو أبلغ تشبيه وغيرها من الأحكام ، فالنقاد ينظرون إلى القصيدة على إنها موجهة إلى آخر يجب أن يطابق الكلام مقتضى الحال ^٥ ، ومن ثم خضع الشعراء إلى سنن لا يحق لهم الخروج عليها ، لكن لو أنعمنا النظر في الشعر نفسه ولاسيما المقدمات نجد فيها صوت الشاعر أولا ، ومن ثم صورة موجهة إلى الآخر ثانيا فهم غالبا ما " يربطون الشعر بالمخاطب ونفسيته وما يناسبه وما يرضيه ، وليس بمنشئ هذا الشعر وهذه طريقتهم الواضحة في نقد شعر المدح بالذات ، حينما يتجاهلون نفسية الشاعر وشاعره في هذا الشعر " ^٦ .

لذا أكد النقاد والدارسون ضرورة العناية بافتتاحية القصائد ؛ لأنّ الشاعر يتقرب بشعره من المتلقي باختلاف موضوعاته التي يقصد بها " التأثير في المتلقي الذي يقوده المبدع إلى ما يريد حيث يتدرج مع المبدع نحو المعنى الذي يسوقه إليه خلال أبياته الأولى ويحرم بعد ذلك من محاولة الحيد عن الوجهة التي أختطها له المبدع " ^٧ . إلا أن فعل القراءة والتأويل هو فعل معرفي حر لا يكون فيه القارئ مجرد مستقبل للنص دون أن تكون له دراية بدلالاته ، بل يعتمد الى أن يصبح فعلا متجددا ، ومن هنا يرى آيزر أن " للنص مفهومين : الأول مرتبط بالمؤلف والثاني بالقارئ " ^٨ . ومعنى ذلك ان القراءة عند آيزر هي فعل جمالي يكتسي أهميته من التفاعل بين بنية النص والمتلقي . وقد أثبت الغذامي فعالية القراءة ومنحها سلطة على النص ، إذ يقول : " إن الشعراء يسرقون منا لغتنا ومشاعرنا وأحاسيسنا ليصوغوها سحرا بيانيا ، يسرقون ما تبقى من أخيلتنا وليس لنا إلا أن نسترد حقنا من سارقه فنحول النص إلينا عن طريق القراءة " ^٩ .

فالمطلع عند الفرزدق يكاد يكون هو عنوان القصيدة ، الذي يسهم في قراءة النص واستقباله لدى قارئه ، الذي يعمل على توجيه استقباله للنص وتلقيه والتفاعل معه ويصنع لنفسه - القارئ - منها أفقا للتوقع ، فظهور المرأة بصورها المتعددة كانت محورا مهما من محاور القصيدة العربية وظفها الفرزدق توظيفا فنيا بوصفها جزءا مكمل في عملية البناء الشعري الشكلي والموضوعي ، " وربما كان وراء هذا كله امتلاك المرأة لقدرات التشكل بصور متعددة تفتح للشاعر آفاقا متغيرة ومواضيع لا تنتهي " ^{١٠} .

المقدمات الشعرية

رسم ابن قتيبة صورة للنهج المألوف الذي كانت تسلكه الشعراء في بناء قصائدهم ، والملاحظ إن فن المديح هو الذي يحتاج إلى هذا التدرج في العناصر^{١١} أكثر من غيرها ، كما أن أغلب الشعراء يحرصون على هذه التقاليد في بناء قصائدهم حرصا جما ، فلا تكاد تخلو قصيدة من هذه الأصول فاستقرت تقاليدھا وساروا عليها منذ العصر الجاهلي وقد وجد شعراء العصر الأموي أصولا ثابتة من التقاليد الشعرية المستقرة وبدأوا ينسجون على وفق هذه التقاليد ، وهكذا استعاروا الأنموذج القديم وافتتحوا أشعارهم بصور شتى من المقدمات فتغزلوا في مقدماتهم ، ووصفوا الأطلال ، ونعتوا الطيف ، وتألّموا من الشيب وأقبلوا على الحياة إقبالا واسعا .

هذا التعدد والتنوع في المقدمات نجد صدها عند الفرزدق ، لكنه تعدّد محدود فهو في كثير من الأحيان بل غالبا يتجاوز المقدمة إلى الغرض مباشرة ، " ويمكن أن نفهم أن هذه القدرة على مخالفة التقاليد تمثل مبالغة في الثقة بالنفس وبالشاعرية " ^{١٢} ، فيدخل إلى موضوعه دون مقدمات ويشهد له ديوانه بكثرتها وقوة سبكها . أما قصائده ذات المدخل غير المباشر فكان يوجز حديثه عنها ، فإذا هو حديث قصير يلم به إماماً سريعا يذكر بعض تفاصيلها ومقومات بنائها ، ثم يقفز عنها مسرعا قبل أن يوفيها حقها ^{١٣} ، وأحيانا نادرة تنتسع بعض مقدماته فيفصل الحديث والوصف والتصوير .

فالمقدمة فيها عنصر تشويق للمتلقي يقوده إلى أحسن صورة ، لأنه سيسحب أثاره على ما يليه، وبهذا تكون عاملا مهما في إثارة التخيلات المناسبة فيها ، وأقدر على إحداث الاستجابة المناسبة والتأثير في عواطف القارئ وفي مشاعره . وبحثنا هذا يتمثل برؤية القارئ للفرزدق وموقفه من الحياة من مقدماته الشعرية ومن زوايا عديدة تتركز في " شخصية الشاعر ونفسيته وتفكيره ولذته في الإبداع؛ لأن النفس تصنع الأدب " ^{١٤} .

المبحث الأول/ المقدمة الغزلية:

المرأة رمز للجمال الذي يحرك في نفس الشاعر حب الحياة ؛ لذا تعد المقدمة الغزلية أبرز المقدمات في شعر الفرزدق عني بها بتصوير المرأة ، وتعد تقليدا فنيا ، وأحيانا لا تشكل مفاجأة للمتلقي ، وأحيانا أخرى تفاجئ القارئ وتكسر أفق توقعه ، فيتخذ منها وسيلة فنية يصور فيها أعماق النفس وما يدور فيها من أحاسيس وانفعالات جياشة ، فالمرأة عنده مرآة تعكس واقع الحياة .

فهو على اهتمامه بالغزل إلا أنه لم يكثر منه إكثار غيره من الشعراء. وقد فسّر الفحام أن طباع الفرزدق من غلظة وخشونة لم تسعفه على التأنّي يمر بها عجلا ولا يبيت وجدا ^{١٥} . وربما يكون السبب أن اهتمامه بموضوع القصيدة كان شغله الرئيس ، لكن على الرغم من قصر مقدماته

استطاع في بعض منها أن يتخذ منها متنفسا له غير متمعن بصفاتهما الجسدية والحسية . فتتعدد صور المرأة عند الفرزدق ومنها صورة المرأة الجميلة الزاهية المشرقة التي قد تعكس طباعه الإيجابية نحو الحياة ، يقول :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ مِنْ نُورٍ وَدُونَهَا سُوءٌ لَكَ وَالْذَّهْنُ وَعَرَضُ جَوَائِهَا
وَكُنْتُ إِذَا تُذَكِّرُ نُورًا فَإِنَّهَا لِمُنْدَمِلَاتِ النَّفْسِ تَهْيَاضُ دَائِهَا
وَأَرْضِي بِهَا جِيلَانُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ يَغْضُ البَصِيرُ طَرَفَهُ مِنْ فُضَائِهَا^{١٦}

هذه المقدمة تفصح عن شوق الشاعر وحنينه إلى زوجه وإلى دياره فيذكر أسماء المواضع التي تمر بها ديار تميم ، وقد عمد إلى تكرار اسم النوار الذي كان ضرورة عنده بدافع التذكر والرغبة في تجدد الحياة وانبعاثها بعد طول غربة وعناء ، فضلا عن أن ترديد هذه الأسماء تمثل الانتكاس بعد الشفاء (الغياب) .

ويقول :

يَقُولُ الْأَطْبَاءُ الْمُدَاوُونَ إِذْ حَشَوْا عَوَارِضَ مِنْ أَدْوَاءِ دَاءٍ يُصِيبُهَا
وَضَبِيَّةٌ دَائِي وَالشِّفَاءُ لِقَاؤُهَا وَهَلْ أَنَا مَدْعُوٌّ لِنَفْسِي طَبِيبُهَا^{١٧}
ضبية هي المرأة التي تزوجها بعد النوار ، " وحل اسمها في مطالع قصائده محل النوار " ^{١٨} ، فالفرزدق حين يريد التعبير عن حبه الحياة يعكس صورة ايجابية للمرأة ، فيكتفي بنعت بعض المحاسن التي اعتاد الشعراء على وصفها ، ولا يخوض في اللذة المحرمة ، وهي في الوقت نفسه تعكس الحالة النفسية فيبوح بمعاناة حبه ، فهو السائل (يقول الأطباء) والمجيب (الشفاء لقاءها) . هنا يكسر الفرزدق أفق توقع القارئ في هذه الصورة الجمالية فلا يبين ما هو حسي من جمال المرأة مع أن هذا متأصل أن العربي حسي بطبيعته ، فنحن أمام عملية تشكيل معنى للمرأة بصورة تخيلية لأوجه جمال المرأة المعنوي .

ارتبطت المرأة بالمطالع الغزلية التي لها صلة بالواقع الاجتماعي ، مما جعل شعر الغزل يرتبط بواقع أحداث عصر الشاعر ، إذ يتضمن فعل القراءة والتأويل صوت الآخر ويدعمه بوصفه متلقيا تاريخيا في كل لحظة نباشر فيها تجربة القراءة ، وعليه " فان تاريخية القراءة هي النظر المقابل لهذا الحضور الزمني الدائم للمعنى ما دام النص يهب نفسه قراء جدد باستمرار والتأويل هو العملية التي يعطي بها انكشاف أنماط جديدة من الوجود " ^{١٩} . فهو في مقدمة أخرى يصف مرحلة من مراحل حياته فينقل لنا صورة من صور حياة المدينة وتأثره بها " تلذذ حياتها اللينة وعيشها الوارف الضليل ، فانغمس في لذاتها ونعم بترفها ... وتعرف من قرب إلى الفتاة الحضرية المنعمة وتذوق من لذاتها فأعجب بها ونسي بقرىها محنته وخوفه " ^{٢٠} ، فيستغرق الفرزدق في

الوصف والتصوير فيحاول أن يكشف في المقدمة عن ظاهرة الاستبطان ومدلولاتها بالإشارة أو الترميز ، فالفرزدق يرسم صورة للحياة من خلال المرأة فهما علاقة متلازمة - جميلة - في نفس أي إنسان ، وهو هنا في مُقَدِّمته يتحدث عن يعجب من النساء " ويكشف عن ذوق حضري يفارق الذوق القديم مفارقة ملحوظة ويعنى بصفاتهم المعنوية عناية طيبة ، ويضرب عن المحاسن الجسدية إلا قليلا أو قليلا جدا " ^{٢١} ، يقول :

لقد كُنْتُ أحياناً صبوراً فهَاجَنِي مَشَاعِفُ بالدَّيْرَيْنِ رُجُحُ الرّوَافِ
نَوَاعِمُ لم يَدْرِينِ ما أَهْلُ صِرْمَةٍ عِجَافٍ ولم يَتَّبِعْنَ أَحْمَالَ قَائِفِ
ولم يَدَلِّجْ لَيْلاً بِهِنَ مُعَرَّبٍ شَقِيٍّ ولم يَسْمَعَنَّ صَوْتَ العَوَازِفِ ^{٢٢}

تَعكس مقدمته تجربة شعورية للفرزدق ومرحلة من مراحل حياته فهي تنبض بالحنين منذ مطلعها يقذف في ذهن المتلقي شروعا في عمل ما مما يبعث على التشويق والتعاطف معه ، ، ويعلل أحد الدارسين ذلك بأنه " يسخر بطريقة خفية من النساء البدويات " ^{٢٣} في أثناء الموازنة بين البيئة البدوية و الحضرية . فالشاعر في تصويره عمد إلى تفضيل الحضر على البادية من الألفاظ التي تعبر عن ذلك ، وليس التهكم بالنساء البدويات ، ويقول :

إذا رُحْنَ في الديباج والخُرُّ فوقهُ معاً مثل أبكارِ الهجانِ العَلائِفِ
إلى مُلْعَبٍ خالٍ لهُنَّ بَلْغَتُهُ بدَلُ العَوَانِي المُكْرَمَاتِ العَلائِفِ
يُنَازِعَنَّ مَكْنُونََ الحديثِ كأنما يُنَازِعَنَّ مِسْكَاً بالأَكْفَ الدَّوَائِفِ
وَقُلْنَ لليلي : حَدَّثِينَا فلم تَكْذُ تقولُ بأدنى صَوْتِهَا المُتَهَانِفِ
رَوَاعِفُ بالجادي كُلِّ عَشِيَةٍ إذا سَفَنَهُ سَوَفَ الهِجَانِ الرّوَاشِفِ
بَنَاتُ نَعِيمٍ زَانِهَاتُ العَيْشِ والغِنَى يَمْلَنَ إذا مَاقَمَنَّ مثلَ الأحَاقِفِ ^{٢٤}

يحرص الفرزدق على إظهار المرأة الحجازية - الحضرية - بهذه الصورة من الدعة والنعمة ، وربما يعود إلى رغبته في هذا النوع المترف من النساء فحديثها خفيض طيب كالمسك ، كما أن لعنصر الحركة دوره في استحضار صورة المرأة ورقتها ، لاسيما أنه عاش حياة تميل إلى البداوة ، فضلا عن أنها تعكس حالة شعورية تبرز تعلقه وحب الحياة بصورة عامة فتعكس جمالية المقدمة على جمالية صفات الممدوح المعنوية، فكلما كانت المقدمة تعبر عن خوالج نفسية وشعورية صادقة كانت انعكاسا للحالة النفسية للشاعر تجاه الممدوح .

فالمقدمة جاءت استجابة لحاجة الفرزدق الإبداعية فضلا عن انها استجابة نفسية وفنية لاطهار موهبته الشعرية ، كما انها قناع فني يتوسل به الشاعر في الوصول إلى ما يمكن قوله بعد هذا (الفرش) التمهيدي في إقناع القارئ بصدق تجربته النفسية والمكانية . ويتضح من تلك اللوحة أن الفرزدق اعتمد في تكوين صورته الغزلية على عناصر مستوحاة من الطبيعة التي تعكس جمالية

المرأة - محاسنها الخارجية - وصورة أخرى عن نفسيّتها ، فوجه الموازنة التي اعتمدها الفرزدق في مقدمته، هي تعبر عن واقع حاله حين رحل قسرا إلى الحجاز ف " حادثة الفرار من زياد والاحتماء بالحجاز تركت أبعد الآثار في نفس الفرزدق ، لم يُنْسَها في حياته كلها " ^{٢٥} ، فيعكس شعوره في ممدوحه وإجارته لكل خائف ملهوف ، يقول :

وكم من كريم يشتكي ضَعْفَ عَظْمِهِ أَقَمَّتْ لَهُ مَا يَشْتَكِي بِالسَّقَائِفِ
وَأَمْنَتُهُ مِمَّا يَخَافُ إِذَا أَوَى إِلَيْكَ فَأَمْسَى أَمِنًا غَيْرَ خَائِفٍ ^{٢٦}

والملاحظ إن موضوع المرأة في هذه المقدمة المدحية انقسمت على قسمين ، الأول يعتمد إلى الموازنة بين بيئتين فهو يجعل للمكان (الحضر والبادية) دوره في عملية التصوير ، والآخر جمالية البيئة الحجازية ونسائها وتفضيله لها . فالمقدمة هنا لها ربط بموضوع القصيدة الأساس هو المدح، حين عمد إلى تفضيل ممدوحه على غيره من الناس وتعداد محاسنه وبطولاته وشجاعته لاسيما ما أشار إليه بالرمز، كما في قوله:

وَقَدْ أَبْطَأَ الْأَشْيَاءُ حَتَّى كَأَنَّمَا يُسْقَوْنَ سَوَقَ الْمُثْقَلَاتِ الزَّوَاحِفِ ^{٢٧}

المرأة (صورة للمغامرة في الحياة):

المرأة عند الفرزدق صراع يدور في نفسه ويتمثل هذا الصراع في تعدد مواقفه وتلونها بألوان الحياة وظروفها التي مرت عليه ، موظفا الأحداث - الماضي والحاضر - ، والشخص - المرأة - فيعدهما الركيزة الأساسية التي يبني عليها مواقفه .

إن الحديث عن مغامرات الفرزدق الغزلية تجلو صورتها - الظاهرية - إنه حديث ماجن خليع يخوض في اللذة المحرمة ^{٢٨} يفيض بالشهوة العارمة " وحقا نجد هذه المقدمات تقترب من ذوق امرئ القيس والأعشى فتصور صاحبها فتى عابثا يتقلب في اللذة الحرام " ^{٢٩} بأسلوب قصصي فظاهرة القص والحكاية ظاهرة أصيلة عند الفرزدق ^{٣٠} ، فبعض صواحب الفرزدق نساء متزوجات ، فهو لا يتحدث عن المرأة وحدها ، إنما يتحدث عن زوجها في بعض الأحيان، ويسوق هذه المغامرات في قالب قصصي يقربها من الواقع ، وتعنى هذه المشاهد بالوصف والتصوير ، يقول :

عَزَفَتْ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدَتْ تَعْرِفُ وَأُنْكَرْتُ مِنْ حِدْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ

وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَيْلِفُ

لَجَاجَةٌ صُرِمَ لَيْسَ بِالْوَصْلِ إِنَّمَا أَخُو الْوَصْلِ مَنْ يَدْنُو وَمَنْ يَتَلَطَّفُ ^{٣١}

من المقدمات التي أبدع فيها الفرزدق وأطال الحديث وفصله قصيدته في الفخر ، فيسترسل في الغزل الذي يدور في ثلاثة محاور - صور - ، المحور الأول يعلن الفرزدق في أول حديثه أنه انصرف عن اللهو والتصابي وسكت عن محاسن المرأة والتفت إلى السخط عليها . ، ولعل مرد ذلك أنه شعر قيل بعد ذهاب الشباب - إشارة إلى كبر سنه - وأنكر ما كان بينه وبين حدراء من

مودّة ، ويتمادى في إظهار صده عنها ، حتى يخيل إليه أن المنية تنتظره في البيت ^{٣٢} . وهو بعد ازدرائه بحدراء ينتقل إلى وصف محاسنها ، يقول :

إذا انتبهتُ حدرَاءُ من نومة الضحى دعتُ وعليها دِرْعُ خَرٍّ ومِطْرَفُ

.....

إذا هُنَّ ساقطنَ الحديثَ كأنه جنى النحلِ أو أبكارُ كَرَمٍ يُقَطِّفُ

يُحَدِّثُنَّ بعدَ اليأسِ من غيرِ رِيبَةٍ أحاديثَ تشفي المُدْنَفِينَ وتَشْغِفُ ^{٣٣}

هذا الانتقال المفاجئ من الهجر والصدود عن المرأة إلى وصف نعيمها وترفها ، إنما يمثل واقع حياة الفرزدق ما يحب أن تكون عليه المرأة في رسم صورة للنساء الجميلات العفيفات اللاتي يحسن الحديث الذي كأنه جنى النحل ، فهو شغوف بحديثهن يهوى سماعه ، وقادر على تذوق أطايبه ^{٣٤} . ولما أتم وصفه انعطف إلى ذكر المرأة المولعة به ، وهي محبوسة في قصرها ، ولا يعرف كيف يصل إليها وعليها حراس يحرسونها ، والكلاب الضارية التي لا ينجو منها أحد ، إذا مر بها ، ثم يمضي يصور أمله في الوصول إليها واللقاء بها ، فيدعو على زوجها أن يصاب بمرض فينتظره بهيأة طبيب ليداوي عينه حتى يتمكن من رؤيتها عن قرب ، يقول :

فكيف بمحبوسٍ دَعَانِي ودونته دُرُوبٌ وأبوابٌ وقَصْرٌ مُشَرَّفُ

وصُهْبٌ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ لَهُمْ دَرَقٌ تَحْتَ الْعَوَالِي مُصَفَّقُ

وضَارِيَةٌ مَا مَرَّ إِلَّا اقْتَسَمْنَهُ عَلَيْهِنَّ خَوَاضٌ إِلَى الطَّنءِ مِخْشَفُ

دَعَوْتُ الَّذِي سَوَى السَّمَاوَاتِ أَيَّدُهُ وَلِلَّهِ أَدْنَى مِنْ وَرِيدِي وَأَلْطَفُ

لِيَشْغَلَ عَنِّي بَعْلُهَا بِرَمَانَةٍ تَدْلُهُ عَنِّي وَعنها فَتُسْعَفُ ^{٣٥}

ان هذا الوصف يرتفع بالإيقاع الإنفعالي للتوتر النفسي الذي كان عليه الشاعر عن طريق التناقض الكبير بين مظاهر السخط على المرأة ، ووصف نعيمها وترفها ، ثم الوصول الى اللذة المحرمة ، تحقق بروز الأنا عند الفرزدق عندما يرد شعره إلى أعماق أناه وفق تجليات القلق واليأس والفناء والتناهي ؛ لذا فإن صورة الحياة عند الفرزدق كانت تتطوي في نفسه على عناصر خفية ، وفي إطار هذا الإحساس لم يكن الشاعر يشعر بالاطمئنان إزاء هذه الحياة ، فهو يعلل المقدمة على أنها انعكاس للصراع الأبدي في ذات الإنسان وفي الحياة من حوله . وعلى هذا النحو يعد الحب - من وجهة نظر الشاعر - ضمانا للحياة ودليلا على ان (أناه) من القوة بحيث يستطيع استعمال هذه الميول الغريزية لتحقيق أهدافه .

هذه الصور الثلاث المختلفة للمرأة ، لا تعني أنواع صور المرأة في المجتمع فحسب ، إنما صورة عن نفسه - الشاعر - التي انطبعت في صورة المرأة ، فالحياة تحمل صوراً متعددة يشغل الحس مكاناً بارزاً في بناء أجزائها ، تجسدت نظرته في الإطار الخارجي ، وفي الوقوف على نفسية

المرأة ، فقد استعان بالتشبيه في بيان مواطن الجمال للمرأة منتزعا هذه التشبيهات من عناصر البيئة العربية ، فهي أولا تعكس جانبا من شخصيته وعلاقته مع أزواجه فلم يوفق مع إحداهن ، إذ تشكل حدراء مرحلة تالية في حياته الزوجية ، حدراء إذن رمز فني يعكس فيها صورة الحياة المريرة فهو لم يعرف الاستقرار العاطفي مطلقا " ولم يجد في المرأة إلا القلق المتواصل وعدم الاستقرار لذا ترك لنفسه العنان في اختراع القصص بعد أن تعذر عليه إيجادها على ارض الواقع " ^{٣٦} . ليتحول بعدها إلى المحور الثاني من لوحته الفنية بانتقالة سريعة دلالة على عدم الاستقرار والتناقض في حياته ، فيرسم صورة الحياة الهادئة المستقرة التي انعكست في النساء الحضريات ليصف مرحلة ثانية من مراحل حياته متأثرا بالبيئة الحجازية آنذاك . أما المحور الثالث فهي صورة المرأة الممنعة المحجبة التي حاول جاهدا الظفر بها ، وهي الصورة الخيالية للمرأة التي تمنى أن يصل إليها ، إنما هي في الواقع صورة الحياة التي يتمنى أن يعيشها فهذه المخاطرة هي مخاطر الحياة التي فرضت عليه الانتقال من مكان إلى آخر للحصول على الاستقرار والهدوء النفسي . فالفرزدق لا يخوض في التصوير الحسي أو الجسدي - المادي - واقعا ، إنما يصور مغامرة من مغامرات حياته في التنقل من مكان إلى آخر بحثا عن الأمن والاستقرار . يقول وهب رومية " وعلى الرغم من وجود هذه المغامرات بل ندرتها إلا إن النظرة المتأنيئة إلى مقدماته كفيلة بإنصاف هذا الشاعر ... بعبارة أوضح إن الفرزدق لا يُعري صاحبه ولا يحتفل بجسدها احتقالا كبيرا - وهو بعدئذ - على خلاف ما نظن مَعْنِيَّ بمحاسنها النفسية يصورها تصويراً فيه رقة ورهافة ودقة حس " ^{٣٧} ، تنعكس على نفسية الشاعر " وهو لون نبغ فيه الفرزدق وتفوق ولعله يدين بشيء من ذلك لبيئة الحجاز " ^{٣٨} . فضلا عن ذلك هناك رابط مهم بين مغامراته التي بطنها فخره بنفسه ، ففي كلتا الحالتين هو يمدح نفسه ويفخر بذاته.

المبحث الثاني/ مقدمة الشيب والشباب:

إن ذكر الشيب والشباب كان له صدى عند الفرزدق ، فهو من الشعراء المُعَمَّرِينَ الذين تفوقوا في هذا الفن ، إذ جعله افتتاحية لبعض قصائده اتخذ منه وسيلة للتعبير عن حالته الحزينة ، وما يداخلها من المشاعر المختلفة ^{٣٩} . فكثير من " الشعراء العرب توجعوا من الشيب بل هم لم يتوجعوا من أمر كما توجعوا من الشيب وصروف الزمان، وما أكثر ما اقترن هذا التوجع بذكر النساء! " ^{٤٠} . الصراع هنا يدور بين الحاضر والماضي ، شكلت المرأة ملمحاً بارزاً وسبباً مؤثراً في حالته، بل كانت الدافع الحقيقي للتعبير عن تجربته الشعورية وما رمى به الزمان من الحسرة والقلق والحزن ، فالفرزدق يعيش صراعاً نفسياً بين الخضوع والاستسلام للواقع (الشيب) وزهو الماضي ونضارته (الشباب) ، يقول :

رَأَيْتُ نُورًا قَدْ جَعَلَتْ تَجَنَّى وَتَكْتَرُّ لِي الْمَلَامَةُ وَالْعِتَابَا

وَأَحَدْتُ عَهْدِي وَدَّكَ بِالْعَوَانِي إِذَا مَا رَأَسُ طَالِيهِينَ شَابَا

فَلَا أَسْطِيعُ رَدَّ الشَّيْبِ عَنِّي وَلَا أَرْجُو مَعَ الْكَثِيرِ الشَّبَابَا

فَلَيْتَ الشَّيْبَ يَوْمَ غَدَا عَلَيْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَانَ غَابَا

فَكَانَ أَحَبَّ مُنْتَظَرٍ إِلَيْنَا وَأَبْغَضَ غَائِبٍ يُرْجَى إِيَابَا

فَلَمْ أَرْ كَالشَّبَابِ مَتَاعَ دُنْيَا وَلَمْ أَرْ مِثْلَ كِسْوَتِهِ ثِيَابَا

ولو أَنَّ الشَّبَابَ يَذَابُ يَوْمًا بِهِ حَجَرٌ مِنَ الْجَبَلَيْنِ ذَابَا^{٤١}

يرسم الفرزدق في مطلع مقدمته صورة للنوار المرأة التي تكثر من لومه وعتابه فنوار انعكاس لشعوره فإذا أراد أن يعطي وصفا جميلا أو مدحا أنيقا كانت نوار سببا لذلك الجمال والحب ، فظاهر هذه الأبيات تعبر عن غلظة الحياة وقسوتها وهو مدعن وخاضع لها .

يبحث الفرزدق عن الخلود فهو محب للحياة مغامر فيها مقبل على ترفها فهو يصور الهم - الشيب - الذي داهمه في أواخر عمره ، ليت لو زال إلى يوم المبعث وهو تمنى غير محقق . هذه الإشارة أولا تبين الأثر الديني (يوم القيامة) ، ومن ثم دلالة على حبه وتعلقه بالحياة وانغماسه في مباحها وملذاتها فيبدأ يسترسل الحديث عن أيام صبوته وحنينه إلى شبابه وتمسكه به ، وتأسفه عليه. كما يوظف الفرزدق أسلوب المقابلة حبه الحياة وبغضه لأي شيء هل الشيب حقا؟ أم شيء آخر أراد التعبير عنه ، ألا ترى أن استسلام الإنسان - الشاعر - للشيب هو خضوع للواقع وأي واقع ؟ ربما قد يكون واقع الحجاج الذي مدحه في هذه القصيدة . فلو نظرنا إلى النص لتساءلنا ما السبب في تجنيه وسخطه على الشيب ، ثم يقطع كلامه للمفاخرة بنفسه ويقومه أمام النوار ، يقول :

فَإِنِّي يَا نَوَّارُ أَبَى بِلَائِي وَقَوْمِي فِي الْمَقَامَةِ أَنْ أَعَابَا

هُمْ رَفَعُوا يَدَيَّ فَلَمْ تَتَلَّنِي مُفَاضِلَةً يَدَانِ وَلَا سِيَابَا^{٤٢}

أ ليست النوار من قومه وقبيلته ؟ وهل يحتاج الشاعر لتأكيد حقيقة معروفة للجميع . إذن النوار وسيلة فنية يحتال بها الشاعر على الآخرين - الممدوح - المخاطب الموجه له الكلام . إن انتقال الشاعر بعد هذه المقدمة إلى الفخر بقومه ، هي إشارة إلى منزلته ومكانته والتعالي بها أمام الحجاج ، وإن نفسه متشوقة ومتعطشة إلى الشباب وأي شباب ؟ هي أيام شموخه وعزته مع قومه .

فالشباب ← قومه وعشيرته (الحياة)

الشيب ← الواقع الأليم (الخوف والموت)

فتأويل النص هنا يتيح لنا رؤية الدلالات بطريقة جديدة ، فالنص ليس أداة تستعمل للتأكيد على معنى ثابت وفهم محدد ، ولكنه عالم يقوم التأويل ببنائه ، وهدفه أن يدخل المؤول في جو من اللذة والمتعة المتحصلة من محاولة الفهم والنظر والتفكير في كل التأويلات والخيارات الممكنة للوصول إلى معان وأفاق في النص. يريد الشاعر أن يقول : إن استسلام الإنسان للشيب قدر مقدور لهذا الواقع الزمني وهو في الوقت نفسه خضوع وانقياد للحجاج خوفا من بطشه ، وطمعاً في عفوهِ ، يقول :

وَلَوْ أَنِّي بِصَيِّينِ اسْتَنْتَ أَهْلِي وَقَدْ أَغْلَقْتُ مِنْ هَجْرَيْنِ بَابَا
عَلَيَّ رَأَيْتُ يَا بَنَ أَبِي عَقِيلٍ وَرَأَيْتُ مِنْكَ أَظْفَاراً وَنَابَا
فَعَفُوكَ يَا ابْنَ يَوْسُفَ خَيْرُ عَفْوٍ وَأَنْتَ أَشَدُّ مُنْتَقِمٍ عِقَابَا
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ خَافُوكَ حَتَّى خَشَوْا بِيَدِيكَ أَوْ فَرَقُوا الْحِسَابَا^{٤٣}

هذه التقلبات في حياة الفرزدق ولدت معاني جديدة يمد بها لوحته الغزلية ، فثمة مقدمة أخرى تشكل حديث النفس بصوت خافت وهادئ ، وأن مصير الإنسان هو الكبر والشيب ، وحديث بصوت عال يرفض فيها واقع الحياة لأنها حقبة استسلام وخضوع وانقياد ، يقول :

وَإِنْ يُظْعِنَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَقَدْ نَثَى لَهُ لِمَةً لَمْ يُزِمَ عَنْهَا غُرَابُهَا
لَنْ أَصْبَحْتُ نَفْسِي تَجِيبُ لَطَالَمَا أَقْرَتْ بَعِينِي أَنْ يُغِيْمَ سَحَابُهَا
وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَصْبَحَ وَاقِعًا وَأَفْنَاهُ مِنْ كَرِّ اللَّيَالِي ذَهَابُهَا^{٤٤}

يستعير الفرزدق بعض الرموز التعبيرية في مقدمته هذه ، فقد استعار الغراب لخصل الشعر الأسود ، والنسر الذي عجز عن الطيران والحركة لمرحلة الشيخوخة فاللون عند الفرزدق وجه من أوجه التشكيل الجمالي ، إلا أن نظرتة هنا اسقاطية فهو يسقط دلالات الألوان في الواقع الاجتماعي والتاريخي على التشكيل الشعري . إذن ما الذي دفع الفرزدق أن يرمز للحياة (بالغراب - رمز الشؤم -) ، وأن يرمز للفناء (بالنسر - رمز للقوة -) أ شدة السواد ؟ أم الخيال الواقعي ؟ أم الواقع الخيالي فصفة النسر التحليق بعيدا ولمسافات طويلة أ ليس هذا تعبيراً عن تنقله بين العراق والحجاز والشام ، وهو الآن ضعيف القوى ، لا يقدر على التنقل لكبر سنه . فالصورة تجسد حياة الفرزدق كيف كانت ، وكيف أصبحت ؟ إذن هي حسرة وألم وحنين إلى الماضي.

إن مقدمة الشيب والشباب مقدمة غنية بالتفاصيل والجزئيات والموضوعات الإنسانية يستطيع الشاعر فيها أن يتحدث عن مرحلة الشيخوخة ووداع الشباب وانصراف النساء عنه ، فيمزج دموعه بالحسرة والألم ، فقد كانت عيونه التي يصيد بها جميلات النساء غدت متنفسا روحيا وحزنا على ما فاتته^{٤٥} .

المبحث الثالث/ مقدمة الطيف:

طيف الخيال من الموضوعات المحببة إلى أنفُس الشعراء ، أولعوا به وانجذبوا نحوه ، وهي ظاهرة بارزة وإبداعية في بعض مقدمات شعر الفرزدق ، فهو يكثر من افتتاح قصائده بها ولاسيما المدحية على الرغم من قلة اهتمامه بالمقدمات ، فضلا عن ذلك إنه يحيي طائفة من رسومها الفنية القديمة ^{٤٦} . فالمرأة تعني الحياة وهو في حديثه وشوقه إليها حديث النفس عن حب الدنيا وإقباله على ملذاتها ، فخيال المرأة - صاحبة أو زوجة - لا يفارقه يزوره بالرغم من بعد المسافات الطويلة التي تفصله عنها ، وهو في حديثه يوظف العناصر البدوية ويحافظ على تقاليدها ف " دائما لا تزورهم أطرافهن إلا وهم في الصحارى الموحشة والقفار المخوفة " ^{٤٧} ، " وفي آخر الليل قبل طلوع الفجر " ^{٤٨} . هذه العناصر هي استحضار الماضي في صورة المرأة التي يطرق خيالها في منامه ، ففي مقدمة إحدى قصائده يرسم الطيف قدر المستطاع بأجمل صورة كلوحة رسم يعرضها على المتلقي ، فالطيف يزوره في آخر الليل بعد هدوء الناس وسكونهم ، لكنه ليل قصير يزول عند ظهور تباشير الصباح ، يقول :

إذا عَرَضَ الْمَنَامُ لَنَا بِسَلْمَى فَقُلْ فِي لَيْلٍ طَارِقَةٍ قَصِيرِ
أَتَتْنَا بَعْدَمَا وَقَعَ الْمَطَايَا بِنَا فِي ظِلِّ أَبْيَضٍ مُسْتَطِيرِ
فَقُلْتُ لَهَا كَذَا الْأَحْلَامِ أَمْ لَا أَتَتْنِي الرَّائِعَاتُ مِنَ الدَّهْورِ
فَلَمَّا لِلصَّلَاةِ دَعَا الْمُنَادِي نَهَضْتُ وَكُنْتُ مِنْهَا فِي غُرُورِ ^{٤٩}

جاءه طيف سلمى آخر الليل قبل الصباح ، فالزمان هنا إشارة أو دلالة إلى أن الطيف لا يدوم كما في اتصاله - بالآخرين - فهو قصير لا يدوم كثيرا ، وهذا القصر جاء بقرينة (الصلاة) إحياء إلى يوم جديد آخر لكن هذا اليوم مع من ؟ متصل ومستمر مع قومه ؛ لذا قدم فخره بقومه ذي المعاني الإسلامية على الممدوح والكناية ابلاغ من التصريح ، يقول :

نَمَانِي كُلُّ أَصِيدٍ دَارِمِي عَلَى الْأَقْوَامِ أَبَاءٍ فَخُورِ

.....

وَرِثْنَا عَنْ خَلِيلِ اللَّهِ بَيْتًا يُطَيَّبُ لِلصَّلَاةِ وَلِلطَّهْورِ
هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي مِنْ كُلِّ وَجْهِ إِلَيْهِ وَجُوهُ أَصْحَابِ الْقُبُورِ
خِيَارِ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ إِنَّا إِلَيْكَ نَشُدُّ أَنْسَاعَ الصَّدُورِ ^{٥٠}

فالمتلقي يمارس دورا أساسيا وفاعلا في الكشف عما لم يصرح به النص ، وذلك من خلال تأويلاته وتفاعله مع النص وملء فراغاته ، ونلاحظ في بداية القصيدة كلمة (عرض) التي تخلق في نفس متلقيها شيئا من الاحساس بالمفاجأة وكأنه عرض شيئا غريبا - لكنه الطيف - ، ومن ثم ما يليها من تتابع الأفعال (الماضي والمضارع والأمر) دلالة على الماضي والحاضر والمستقبل

التي توحى باستمرار المفاجأة النفسية التي وقعت على نفس المتلقي فتملكته . وهنا تزداد العلاقة بين الشاعر وقومه باتصاله المستمر معهم الذي لا ينقطع كما انقطع طيف محبوبته الذي جاء عرضاً .

إن مقدمة الطيف عند الفرزدق تعني بالتصوير النفسي عناية رائعة ، يبت فيها مشاعره على نحو ما نرى في قوله :

ألم خيالٍ من عُلِيَّةٍ بعدما رجا لي أهلي البرء من داءٍ دانفٍ
وكنْتُ كذي ساقٍ تهَيَّضَ كسرُها إذا انقطعت عنها سيورُ السقائفِ
فأصبح لا يحتالُ بعدَ قيامِهِ لمنهاضٍ كسرٍ من عُلِيَّةٍ رادفٍ
ولو وُصفَ الناسُ الحسانَ لأضعفتُ عليهنَّ أضعافاً لدى كلِّ واصفٍ
لأنَّ لها نصْفَ الملاحَةِ قِسْمَةً معَ الفترةِ الحسناءِ عندَ التهانفِ^{٥١}

يحاول الفرزدق أن يصور حالته وما قاساه في حياته فينقل لنا تجربته بأسلوب القص فيعكس انفعالا نفسيا وشعوريا بوساطة (خيال ألم به) من مكان آخر فيروي لنا حالته وما عاناه ليس من لوعة الحب والفراق تجاه صاحبة الطيف ، إنما ما يكنه من أحاسيس وانفعالات تجاه المرأة ، فقد وظفها توظيفا ايجابيا في مقدماته بوصفها وسيلة للتعبير عن همومه ، فهو لا يرجو البرء من الداء ، أي من السجن وهو مكسور لا يقوى على الحركة والقيود في رجله . وليس يخفى أن هذه الصورة لا تعبر عن الانكسار المادي ، إنما الانكسار النفسي - حالة الحزن واليأس - ، لكن سرعان ما يتحول كلامه وفيه شيء من السرور والراحة حين يتحدث عن جمال المرأة - جمالية الحياة - ، فيوشح كلامه بالغزل الرقيق لأنه كلام موجه إلى ممدوح ، وهو لا يغفل الإشارة إلى معاناته أمامه ، يقول :

ذكرتُك يا أمَّ العلاءِ ودُوننا مَصَارِيْعُ أَبْوابِ السَّجونِ الصَّوارِفِ
قد اعترَفْتُ نفسٌ عُلِيَّةٌ داؤها بطولِ ضَنْئٍ منها إذا لم تُساعِفِ
فإنْ يُطْلَقِ الرَّحْمَنُ قَيْدِي فَأَلْقَهَا تَحُلُّ نُذُورًا بِالشَّفَاهِ الرَّوْاشِفِ^{٥٢}

تمتلى مقدمته بالحنين والأسى فيقص لنا أطرافاً من حديثه وهو في السجن ، ف (صوت الباب عند فتحها وإغلاقها) تعكس حالة الأمل واليأس في نفس الشاعر (أمل في حياة جديدة ومشقة - الفتح -) و (يأس من ألم وحزن - الغلق -) . الفرزدق يرسم مشاهد لحالته وما ينتابه من شعور وهو مقيد في السجن فيبدع في هذا الوصف ، ويرسم صورة عن النفس الإنسانية المغلوبة عن طريق هذا الطيف - الحياة - فيدعو للخروج من هذا السجن ليلتقي بالحياة مقبلاً عليها يقبلها ويعانقها . انعطافه إلى الماضي في تصوير موقفه وحالته الحزينة بعيداً عن المرأة ظاهراً هو حديث عن النفس ، فضلاً عن أنها انعكاسات شعورية مبطنة تقصح عن حقيقة موقفه حين يمدح

ممدوحه ويندد بالولادة وتعسفهم في تلك الحقبة . إذن أبياته تفصح عن الحالة السياسية لذلك المجتمع ، فالشاعر في تصويره يعمد إلى الألفاظ المعبرة فكثير منها لها دلالات وتلميحات جمعت بين المقدمة والغرض ، مثل : (ساق ، كسرهما ، قيدي ، السجون ، ساقى ، القيود ، الحبس ، سجنوني ، ...) ، يقول :

دَعَوْتُ أَمِينَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ دَعْوَةً لِيَفْرِجَ عَن سَاقِي خَيْرَ الْخَلَائِفِ
فِيَا خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِنَّكَ لَوْ تَرَى بِسَاقِي آثَارَ الْقِيُودِ النَّوَاسِفِ
إِذَا لَرَجَوْتُ الْعَفْوَ مِنْكَ وَرَحْمَةً وَعَدَلَ إِمَامٍ بِالرَّعِيَةِ زَائِفِ^{٥٣}

والفرزدق في معرض التنديد بالآخر (العمال والولادة) يعمد إلى الفخر إعلاء بمنزلته وقوته والإشارة إلى مكانة قومه أمام الممدوح ، فيعكس الحالة النفسية وما لاقاه من تجنٍّ وتعسف يقول :

فَإِنْ أَكُ مَحْبُوسًا بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ فَقَدْ أَخَذُونِي أَمِنًا غَيْرَ خَائِفِ
وَمَا سَجَنُونِي غَيْرَ أَنِّي ابْنُ غَالِبٍ وَأَنْتِي مِنَ الْأَثَرِينَ غَيْرِ الزَّعَانِفِ^{٥٤}

يتجلى حضور (الأنا) في هذه المقدمة في تشبث الشاعر بالحياة والرغبة في البقاء والاستمرار رافضاً الانهزام أمام الموت ، كما ان للمقومات الفنية للمطلع قيمة نصية لافتة للنظر ، توفر للنص تماسكه وترابطه فضلاً عن الانسجام الذي يستتبطه المتلقي من النص ، مما يتوجب عليه أن يسبر أغواره بحثاً عن مكامن التلاقي والتلاحم بين مطلع القصيدة وموضوعها ، الذي يحقق التوازن النفسي والانفعالي للقارئ .

ويتخذ الفرزدق من الطيف مدخلاً قصيراً إلى غرضه الرئيس ، لكنه لا يخلو من أبعاد نفسية لها أثرها في شعره ، فهو حديث عن النفس في أثناء رحلته إلى الممدوح ، يحاول أن يرتد إلى الماضي حيناً وينصرف إلى الحاضر حيناً آخر ، يقول :

زَارَتْ سُكَيْنَةُ أَطْلَاحاً أَنَاخَ بِهِمْ شَفَاعَةُ النَّوْمِ لِلْعَيْنِينَ وَالسَّهَرِ
كَأَنَّمَا مَوْتُوا بِالْأَمْسِ إِذْ وَقَعُوا وَقَدْ بَدَتْ جُدَدُ أَلْوَانِهَا شُهُرِ
وَقَدْ يَهِيْجُ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي بَعَثَتْ أَقْرَانُهُ لِأَحَادِثِ الْبَرْقِ وَالذِّكْرِ
وَسَاقِنَا مِنْ قَسَا يَزْجِي رَكَائِبَنَا إِلَيْكَ مُنْتَجِعُ الْحَاجَاتِ وَالْقَدَرِ^{٥٥}

يجعل الفرزدق من طيف صاحبه ضيفاً عزيزاً خفيف الظل يأتي في آخر الليل ويغادره أول الصباح ، فيزداد بهجة وفرحاً لتأثيره المباشر في نفسه وفي رفاقه للإسراع وحث الخطى . وإن لأحداث البرق والذكر حاجت بهم الشوق إليه من مكان بعيد ، وجأؤوا يسوقون ركائبهم لمقصد الحاجات .

المثيرات في الحياة كثيرة ومنها المرأة وظفها الفرزدق في عنصر الطيف ، فقد صورها في مشهد يظهر فيه أثره في نفسه وفي رفاقه ، إذن لكل مثير مستجيب ، فلفظ اسم المرأة - سكينه -

كانت مثيرة قويا وفاعلا - على ما يبدو - وفي المقابل هناك استجابة في حث الخطى والإسراع إلى الممدوح .

وكثيرا ما ترافق المرأة فخر الفرزدق بنسبه وبقومه والتعالي بهم ، وكثيرا ما يجد الشاعر ملاءمة بين الفخر وذكر المرأة " لان غزله بها وتعداده لمحاسنها نوع من الفخر الذي يشبع رغبة عنده " ^{٥٦} ، في تعداد المحاسن والتمجيد بالنسب ، وعليه فقد حقق الشاعر عنصر الصدق في التعبير عن الشعور الحقيقي تجاه قومه ، يتجسد في صدق المشاعر التي يعلو فيها الـ (نحن) على (الأنا) أنا الشاعر التي تذوب في كيان المجموع لان فخره بقومه صادر من قلبه مؤمن به ، فهو في مقدمته التي تشدو ألحانها بالحديث عن المرأة تحقق اتزاناً نفسياً وعاطفياً بين ذات الشاعر والذات الأخرى (صوت القبيلة) فالمرأة والفخر أشد تماسكاً عند الفرزدق بوصفه ارتباطاً وثيق الصلة الذي يتأتى من عواطف الحب وإحساسه بأنه مسؤول عن تحقيق غاياتها - القبيلة - ومنافعها ، ومن نماذج هذه المقدمات قوله :

طَرَقْتُ أَمِيَّةً فِي الْمَنَامِ تَزُورُنَا وَهَنَا وَقَدْ كَادَ السَّمَاءُ يَغُورُ
طَافَتْ بِشَعَثٍ عِنْدَ أَرْحَلٍ أَثْنَقٍ خُوصٍ أَنْخَنَ وَبَيْنَهُنَّ ضَرِيرُ
بُرِدَتْ عِرَائِكُهَا بِجُورٍ تَتَوَفَّى وَبِهِنَّ مِنْ أَيْنِ الْكِلَالِ قَتُورُ
قَالَتْ قَلِيلًا فَاَنْتَبَهْتُ وَمَا أَرَى زُورًا بِهِ مِنْ زَارِهِ مَحْبُورُ
فَهَجَعْتُ أَرْجُو أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِهَا سَلَمَى وَمِثْلُ طِلَابٍ ذَاكَ عَسِيرُ
رَاعَتْ فَوَادِي حِينَ زَارَتْ رَوْعَةً مِنْهَا ظَلَلْتُ كَأَنَّنِي مَحْمُورُ
إِنِّي غَدَاةٌ غَدْتُ بِحَاجَةِ ذِي الْهَوَى مَنِ وَلِمَ أَقْضِ الْحَيَاةَ صَبُورُ
صَدَعَ الْفَوَادِ غَدَاةً بَانَتْ ظُعْنُهَا وَأَشَارَ بِالْبَيْنِ الْمُسْتَشِيرُ
دَعُذَا فَقَدْ أَطْنَبْتُ فِي طَلَبِ الصَّبَا وَعَلَكَ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ قَتِيرُ
وَأَفْخَرُ فَإِنَّ لَكَ الْمَكَارِمَ وَالْأُلَى رَفَعُوا مَآثِرَ مَجْدُهَا مَذْكَورُ ^{٥٧}

وصف الفرزدق المرأة بصورة جميلة في هذه المقدمة الشعرية عبر فيها عن جمال حياته وسر بهجته في الماضي في توظيفه الأفعال (طرقت ، طافت ، بُردت ، قالت راعت ، زارت ، غدت ، بانَتْ) ليلتفت إلى الحاضر القريب (فانتبهت ، فهجعت) ، أي صحوة من هذا الطيف الذي سرى إليه آخر الليل ، ومن ثم ينقل كلامه إلى الحاضر والمستقبل في قوله (دعُ ذا ، وافخر) .

يواجهنا الشاعر بدفق من الجمل الرقيقة ، والمقطع كله يخيم عليه طيف من الذكريات والحنين ، وقد أسهم في خلق هذا الجو تأكيد الشاعر الجمل الفعلية التي شكلت بدايات الأبيات تقريبا للفعل الماضي بما فيه من تذكر واشتياق وحنين أثر واضح في اغناء هذه اللوحة بالشفافية . لقد كان الالتفات إلى الماضي خطوة لاسترجاع الحياة بما يضمه الماضي من حيوية قادرة على الاستمرار

في تمجيد القبيلة ومآثرها ، الذي لم يكن مجرداً شخصياً فحسب ، إنما هو مجد خالد متجدد على مر الأزمان يحاول الشاعر فيه إبراز خصائص قبيلته في تاريخها المشرق .

إن في توظيف الشاعر لإسلوب حسن التخلص كان مقصوداً ، أي انه لا يريد أن يطنب الحديث عن طيف صاحبه بهذه الصورة الجميلة وكم يرجو أن يعود لهذا الطيف - الخيال - كأنه مخمور يعيش نشوة لذة الحياة التي لا ترجع ثانية بعد أن علاه الشيب فقطع حديثه عن النساء إلى الفخر بابائته وأجداده ليصحو من لذة الماضي إلى نشوة الحاضر والمستقبل .

المبحث الرابع/ مقدمة الطلل:

للفرزدق شعر وقف فيه على المنازل وخاطبها ووصف آثارها ، وقد جاءت مقدمات لبعض القصائد، وخلت كثير من قصائده من تلك المقدمات إلا أنه " قد حافظ في جانب من مقدماته الطللية على كثير من عناصرها القديمة ، وصورها البدوية " ^{٥٨} . وفي شعره الذي وقفنا عليه نره لم يلتزم بالوقوف على الأطلال كثيراً ، إنما هو حديث قصير يدخل منه إلى الغزل أو موضوعه الرئيس ، فحديثه في الأطلال مرتبط إلى حد ما بالمرأة ، بل سبب لذكرها والحنين إليهما ، وهي ظاهرة فنية بوصفها مثيراً تحفز الشاعر لتشخيص مظاهر البيئة العربية ، ضمن لوحة فنية يرسمها بخياله ويستوفي بعض عناصرها التي لها وقع خاص في نفس المتلقي - المخاطب - فيحرك مشاعره ويثيره .

وقد رأى الدكتور عناد غزوان أن للطلل رمزاً نفسياً لألم يحس به الشاعر ، فالوقوف على الأطلال والتحسر على الذكريات الماضية ، والبحث عن آثار المنازل والديار هي رموز لتجربة الألم التي يجد فيها الشاعر راحة ودلالة نفسييتين يطمئن إليها في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة ^{٥٩} .

وبعضهم قال إن الفرزدق صدَّ عن هذه المقدمة صدوداً ^{٦٠} ، ولا يعنى بتفاصيل رسومها والوقوف عليها طويلاً، " فهو لا يُعنى بحاضرها أو بماضيها ، بل يقتصر على تصوير مشاعره نحوها " ^{٦١} ؛ لذا نراه يتكى في مقدماته على الأقدمين فيستعير صورهم وتعبيرهم بمعنى أنه " لا يصف أطلالا بل يستعيد وصفها ذهنياً " ^{٦٢} ، فيوظفها في خدمة قصيدته .

تعددت صور الفرزدق وأغراضه في وصف المرأة وغزله بها ، بما يفصح عن صوت الشاعر وفكره في تصويره النساء . إن صورة المرأة تعبر عن الدلالات النفسية للفرزدق ، فقد مثلت النقائص جانباً من حياة القبائل الاجتماعية والسياسية في العصر الأموي تقوم على المفاخرة والهجاء وتداخلت فيها المثالب والعيوب من جهة والمآثر والمكارم من جهة أخرى ، ومن الجلي أن تظهر المرأة في أغراض المدح والذم بوصفها مدلولاً إلى الأغراض والمقاصد الثقافية والاجتماعية والأخلاقية ، إذ نلاحظ أن " الشعراء في هجائهم قد خصصوا أبياتاً يفخرون بها ، ويعددون

محاسنهم ويمجدون أفعالهم تحدياً للمهجو وارتقاعاً عليه وهذا متوفر في أكثر القصائد وخاصة في النقائض التي دارت بين المثلث الأموي " ٦٣

افتتح الفرزدق بعض قصائده بوصف الأطلال الدارسة ، وتغزله بالجماليات من نساء قومه وصور الضعائن المتحمة ، يقول :

أعرفت بين رويتين وحنبل دمناً تلوح كأنها الأسطار
لعب العجاج بكل معروفة لها ومثلثة غيباتها مدرار

.....

وقد يحل بها الجميع وفيهم حور العيون كأنهن صوار ٦٤

يتساءل الفرزدق عن ديار الأحبة ويسمي أماكنها ويذكر عفاها وما أصابها من مطر ورياح غيرت معالمها، وذكر ما غبر عليها من زمن طويل ، فوصف الديار تعبر عن فلسفة ذاتية ، وإحساس عميق وصادق بالحياة " إذ إن لكل شاعر فلسفته الذاتية في نظره إلى الأطلال أو الديار " ٦٥ ، فانعطف يدقق النظر في بقايا هذه الديار فإذا الأثافي بو ، ثم خلفها وصار إلى حديث النساء يصف أدب حديثهن التي تأنس به النفس " إنها صورة المرأة العربية التي تغنى بها شعراء النسيب والبادية " ٦٦ . إن تشبث الشاعر بالحياة والرغبة في البقاء والاستمرار ، بعد صورة الفناء وفعل الزمن ، سعياً لتحقيق الديمومة بين الماضي والحاضر والمستقبل إنما يمثل بعث الحياة في تلك الأطلال الميتة . فالفرزدق صور المرأة المثل التي يرنو إليها ، فهن نساء كريمات الخلق والحديث " لأن الحياة تظل مستمرة ووظيفة عقل الشاعر في هذه إيجابية ، فهي دعوة غامضة إلى تغيير النظر في الماضي أو دعوة إلى مبدأ استمرار الحياة من حيث هي نشاط وفاعلية " ٦٧ ، يقول :

يأنسن عند بعولهن إذا التقوا وإذا هم برزوا فهن خفار

شمس إذا بلغ الحديث حياءه وأوانس بكريمة أغرار

وكلامهن كأنما مرفوعه بحديثهن إذا التقين سرار ٦٨

فهو يزواج بين حديث النفس وتصوير الأحباب فاخذ يصف رحيلهن يتبعهن ببصره ، فحديثه زاخر بالحب والحزن والحنين ، حتى توشك أن تكون قصة قصيرة تمثل رحلة الضعائن في طائفة قليلة من المشاهد المتلاحقة ، يقول :

فرأى الحمل كأنما أحداها في الآل حين سَمَا بها الاظهار

نخل يكاد ذراه من قنوانه بذريعتين يميله الإيقار ٦٩

يصور حدوجهم وهي متأهبة للرحيل وقت دخول الظهيرة كأنها النخل فهو رحيل جماعي ، إن وصف الحدوج بالنخل ليس دليلاً على التشابك وشدة السواد فحسب ، إنما تعبيراً عن كثرة أفراد

القبيلة ورجالها ، ورمز العلو والشموخ والرفعة ، لاسيما أن النخل من الأشجار المعمرة والدائمة الخضرة فقومه ولاسيما نساء قبيلته شامخات كشموخ النخل وعلوه . هذه المقدمة كانت مقصودة من الشاعر فالفخر بنساء قومه هو الفخر بالقبيلة نفسها . كما أن ذكر الديار هو تجديد للأيام الماضية ، وتحول حديثه إلى ذكر الشيب وكبر السن كما في قوله:

وتَقُولُ كيفَ يَمِيلُ مثلكَ للصبا وعليك من سمة الحليم عذارُ
والشيبُ ينهضُ في السَّوادِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نَهَارُ^{٧٠}

هي تحول الحياة نفسها ، فيدور الكلام على لسان النوار التي تعتب عليه هذا الجزع والشيب الذي يملأ رأسه ليسجل لنا حكمة الأيام أن بضاعة الشباب لها بائعوها والشيب ليس تجارة للبيع ، يقول :

إنَّ الشبابَ لرابحٌ مَنْ بَاعَهُ والشيبُ ليس لبائعِهِ تِجَارُ^{٧١}

فذكرى الديار البالية وأثارها الباقية هي الماضي الجميل ، إذ إن الرحيل كما كان دافعا للانتقال من مكان إلى آخر ، - أي تحوله إلى شيء ذي أهمية كبيرة - ، فهو يعني تحول الشاعر إلى موضوعه الأساس هو الفخر بقومه وهجاء خصمه .

هذه المقدمة الغنية بمعانيها تجسدت في ثلاث محطات الأولى وصف الديار ، والثانية الغزل العفيف بنساء القبيلة ، والثالثة صورة الرحيل . هذه المشاهد المتلاحقة صورة جميلة عن الحياة التي كان يحياها في الماضي ، فتحدث عن شرف قبيلته وأرومتها ، أي أراد أن يعطي صورة مشرقة عن ماضي قومه ، وعن نساء قبيلته الحرائر ؛ لذا لم يحدد امرأة بعينها ولم يذكر اسم واحدة منهن ، إنما صفة عامة مشتركة بين جميع نساء قبيلته ، ماعدا (النوار) ، - فهو هنا يفاجئ القارئ ويكسر أفق توقعه - التي جاء ذكرها مقصوداً ليلفت حديثه إلى مقصده الحقيقي - أي انصرافه عن اللهو والصبا ظاهراً - وهو هجاء خصمه جرير وتعرضه لنساء قبيلته ، إذن كان ذكر المرأة وشرف أرومتها مقصوداً من الفرزدق واتخذ مسلكاً يلج من خلاله إلى التعرض والإساءة لجرير ولنساء قبيلته فهن إماء خلقن للخدمة فحياتهن بؤس وشقاء وتعب ونساء قومه في نعيم وترف وشرف ورفعة ، يقول :

يَتَكَلَّمُونَ معَ الرِّجَالِ تَرَاهُمْ رَبُّ اللّٰحِى وقلوبهم أصفارُ
وئسَّيَ لَبْنِي كَلِيبٍ عِنْدَهُمْ مِثْلُ الخَنَافِسِ بَيْنَهُنَّ وَبَارُ
مُنْقَبَضَاتٌ عِنْدَ شَرِّ بُعُولَةٍ شَمِطَتْ رُؤُوسَهُمْ وَهَمَّ أَغْمَارُ
أَمَةُ اليَدِينِ لَنِيْمَةٍ أَبَاؤُهَا سَوْدَاءُ حَيْثُ يُعْلَقُ النِّقْصَارُ
مُتَعَالِمُ النَفَرِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ بِالنَّبْلِ لَا غُمْرٌ وَلَا أَفْتَارُ^{٧٢}

يلجأ الفرزدق إلى طابع السخرية والتهكم في رسم صورة هزلية مناقضة للصورة التي أتى بها في مقدمة قصيدته ، إذن المقدمة كانت انعكاسا وصدى لموضوع قصيدته الفخر والهجاء ، فخر بقومه وبنسائها ، وهجاء قوم خصمه ونسائهم ؛ " لذا لا يمكن أن نجد المقدمة الغزلية في قصيدة الهجاء من الصدق أحيانا رغم أنها غير ملائمة لهذا الغرض المفعم بالألفاظ الجارحة والصفات المخزية"^{٧٣} ، فهو يجهد نفسه في اصطيد الصور المخزية أو الساخرة المضحكة ، ليجعلها إطارا لشخصية صاحبه ، فقد وظفت الصورة الهجائية في مضممار المنافسة الأدبية لاستثارة الناس وإمتاعهم بهذه المبالغات السمجة في هتك أعراض نساء القبيلة ، فهم على يقين إن الأعراض بريئة من هذه الدعاوى المتخيلة"^{٧٤} . ومع ذلك فإن الفرزدق لم يبتعد كثيرا عن نزعة السخرية بجرير وبنساء قومه وأبيه بفاحش القول ، كلما هيأت له الفرصة لذلك وصف أمتهان نسائهن وابتذالهن بما يدل على الاستخفاف ، وعلى أنه لا خادم لهن . هذه الصورة وأمثالها ، تمثل حرص الفرزدق على الإتيان بها ، فقد كان يراد بها اجتذاب الجماهير " فأول مرة في هذا العصر يتخذ الهجاء والفخر وسيلتين للتسلية ، وامتناع عامة الناس وخاصتهم "^{٧٥} .

فالقارئ هنا اعتمد اعتمادا كبيرا على التأويل ، الذي يمكنه بوساطته أن يدخل إلى أعماق النص ويتفاعل معه ، فيكشف غموضه . وعلى القارئ أن يتخيل أن كل بيت شعري يخفي دلالة ما ، فالقارئ المبدع هو الذي يفهم أن سر النص بين طياته فالتأويل كما عرفه أمبريكو إيكو " ينبثق من التفاعل بين المؤول والنص ، ولكن نتيجة هذا التأويل تفرضه طبيعة النص وطبيعة الإطار العام إلى المعارف الموسوعية لثقافة ما "^{٧٦} . فهدفه أن يدخل المؤول في جو من اللذة والمتعة المتحصلة من محاولة الفهم والنظر والتفكير في الكشف عما لم يصرح به النص .

وفي مقدمته التي يمدح بها بني شيبان يستعير أطلال أسلافه من الشعراء في مخاطبة الطلل وهي التسليم عليها بعد انقطاع واستنطاقها ومخاطبة الرفاق ، ثم البكاء شوقاً والوقوف عليها وتعريفها ، يقول :

أَلَمَّا عَلَى أَطْلَالٍ سَعْدَى نُسَلِّمُ	دَوَارِسَ لَمَّا اسْتَنْطَقْتُ لَمْ تَكَلِّمْ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا	عَرَفْتُ رُسُومَ الدَّارِ بَعْدَ التَّوَهُّمِ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَلَقَدْ بَدَتْ	لَهُمْ عِبْرَاتُ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَمِّمِ
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْذِلُونِي فَإِنَّهَا	مَنَازِلُ كَانَتْ مِنْ نَوَارٍ بِمَعْلَمٍ ^{٧٧}

هذه المقدمة على ظاهرها تبدو صورة مستعارة من أصحاب المعلقات " فقد تناول بعضها من (طرفة) وبعضها من (زهير) وبعضها من (عنتره) " ^{٧٨} . الفرزدق هنا في تقليده القدماء ، هو تابع لهؤلاء ومقلد لهم ، فهو يعتز بشعر الأقدمين من متابعتهم وهذه المقدمة على ظاهرها تقليد ، لكن لو تمعنا النظر في موضوع القصيدة هو مدح لبني شيبان تلك القبيلة المعروفة بانتصاراتها

ووقائعها ضد الفرس في زمن مضى. الشاعر يفاجئ القارئ أن أطلال الماضي وتقديسها وإعجابه بها هو في الوقت نفسه إعجاب ببطولات الممدوح وقبيلته وانتصاراتها في الماضي ، وكأن شعورا بنشوة الانتصار بدأ يتسلل إلى حياته رويدا، وهنا تزداد العلاقة بين الماضي والحاضر تؤثر مخاطبا متلقيه (الآخر) بصوت الماضي ليرى فيه دلالة الحاضر - الممدوح - فيظهر دور القارئ في اكتشافه لمعاني النصوص وما تحجبه خلف إحياءاتها اللغوية وتراكيبها ، فيقول :

أتاني من الأنباء بعد الذي مضى لشيئان من عادي مجد مُقدّم
غداة قرّوا كسرى وحدّ جنوده ببطحاء ذي قارٍ قرى لم يُعتم
أباحوا حمى قد كان قدماً محرماً فأضحى على شيئان غير مُحرم^{٧٩}

والمقدمة الطللية ذات قوة وعاطفة ما زالت تؤثر في نفس القارئ إلى جانب إنسانيتها وشموليتها لكل زمان ومكان، فكل شاعر يُعنى في مقدمته برسم مشاعره العاطفية وحالته النفسية^{٨٠}. كما إن اقتفاء آثار القدماء والسير على نهجهم هو اعتزاز بالأصول والتقاليد العربية، فالفرزدق معتز بشعر الأقدمين ، فهو غالبا يدين بفضل من سبقه وتعلمه الشعر منهم^{٨١}. إذن الربط بين أطلال القدماء واستعارتها وقرنها بفضائل قوم الممدوح وانتصاراتهم في سالف الزمان هي غاية الشاعر .

والمرأة عنصر فاعل ومؤثر في الطلل ، التي يرى فيها صورة الحياة الماضية الجميلة ، لان الطلل فيه إشارة إلى الماضي والحنين إليه ، ورمز لحب الوطن (القبيلة) . وعلى الرغم من قلة الافتتاحية الطللية في مقدمات شعر الفرزدق ، أخذت حيزاً منه ، فهي من ناحية منهج فني سلكه معظم الشعراء ، ومن ناحية أخرى -عنده - وسيلة يتذكر بها قومه وأهلها الظاعنين فيها . إن الحديث عن الطل ووصفه ، ثم الحديث عن المرأة والتغزل بها سببه العلاقة الوثيقة بين المتلازمين ويكاد يكمل أحدهما الآخر حتى تكاد تكون المرأة وقودا لعاطفة الشاعر^{٨٢} .

الخاتمة:

وفي ختام حديثنا نعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، هي ما يأتي :

١- عبّر البحث عن وجهة نظر الباحث في تحليل المقدمات وربطها بأغراضه الشعرية ومنها ، المديح والفخر والهجاء ، فقد كان للمرأة حضور في الشعر لاسيما قصائده المدحية التي تفوقت على سائر أغراضه الأخرى ، بوصفها قصائد هادفة إلى منفعة شخصية للشاعر يهدف من ورائها السعي إلى إرضاء الممدوح ، واجتماعية يعبر فيها عن خواطره أو مشاعر تعنيه بصفة خاصة .

- ٢- المقدمات أكثر من تعبير عن نظام اجتماعي فرض على الشاعر ، لأنها تجسد برهمة التحول من الماضي إلى الحاضر ، فهي ذو حدين أولهما تأكيد واقع حال في ترسيخ أصول ثابتة ، وآخرهما أن الشاعر يحاول أن يفرغ انفعالاته ومشحوناته عبر هذه المقدمات .
- ٣- أفاد مفهوم القراءة والتلقي مدى فاعلية تطبيقه على الأدب ، وأهمية إعادة قراءة النصوص الأدبية التي أعطت النص المجال لتلقيه وقراءته وتذوقه ، وبيان مواطن التلاحم النصي ، فضلا عن قدرتها على حمل أفكار الشاعر وهمومه .
- ٤- تتوَّعت المقدمات عند الفرزدق فمنها الغزلية ، والطليلية ، ووصف الطيف ، والشيب والشباب .
- ٥- تعددت صور المرأة عند الفرزدق فهي رمز للحياة ولحب ، ووسيلة فنية تعبر عن حقيقة شعورية ، فالمرأة في الغزل (انعكاس للحالة الشعورية) ، وفي الطلل (حنين إلى الماضي) ، وفي الطيف (تجديد للحياة واستمرار لها) ، وفي الشيب والشباب (حسرة وألم) .
- ٦- أتاح شعر الفرزدق للقارئ البحث عن العلل التي تسهم في إعادة قراءة شعره ، فالحديث عن المرأة أمدَّ الفرزدق بطاقة كبرى في التصوير ويسرَّت له الطريق للوصول إلى مبتغاه ، فقد كانت بمثابة المتخيل الشعري ، والمثير الإيجابي ذي الدافع القوي نحو الإبداع والتفوق والتميز .
- ٧- أصبح الوقوف على المقدمات الشعرية عملية فنية تتصرف في جملتها إلى المتلقي مما يوجب عليه حق الاستماع لما يليها وربطها بموضوع القصيدة ، لأنها توضح نفسية الشاعر وخواطره التي يحملها في أعماقه ، فقد كانت انعكاسا لشخصيته ومتنفسا له أمام المتلقي بوصفها جزءا ذاتياً .
- ٨- إدراك الشاعر الجمالي - في بنيته الشعرية - انه يصنع عالما يهتم بالمرأة ، والحقيقة ان هذا الاهتمام نابع من ان الفرزدق كان يجعل المرأة رمزا للوجود يدعمه وعي خاص باللغة وأساليبها، وقدرة على توظيفها توظيفا خاصا في تجربة شعرية حافلة بالمعاني والأحاسيس والمشاعر النفسية.
- ٩- جعل الفرزدق لمقدماته الشعرية أهمية توضح صورة الواقع ، فجعل الاعتبار لتصوير الفكرة وليس المطابقة مع الواقع في تكرار هذه القوالب الفنية التي فرضت على الشاعر رسوما أكسبها التكرار صفة التقليد .
- ١٠- نقل الفرزدق إلى المقدمات ألوانا من ألوان الفتوة والمغامرة ، فطبعت شعره بظاهرة فنية هي طابع المغامرة ، حين يصطنع الحكاية البسيطة اسلوبا للتعبير كما جاء في بعض مقدماته.

الهوامش:

- ١- ينظر : قصيدة المديح حتى نهاية العصر الأموي ، وهب رومية : ٥٠٧
 - ٢- ينظر : المرأة في الشعر الجاهلي ، الهاشمي : ٩٠
 - ٣- ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، البهبيتي : ١٠٠
 - ٤- المرأة في العصر الأموي ، فاطمة تجور : ٣١٠
 - ٥- ينظر : مطلع القصيدة ودلالاتها النفسية ، عبد الحليم حفني : ٥٩
 - ٦- المصدر نفسه : ٥٩
 - ٧- قضية التلقي في النقد العربي القديم ، فاطمة البريكي : ٧٣
 - ٨- فعل القراءة ، آيزر فولفانغ : ١٢
 - ٩- الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغدامي : ٢٨٨ - ٢٨٩
 - ١٠- البناء الشعري عند الفرزدق ، علاء الدين المعاضدي : ٢٢٢
 - ١١- ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة : ١ / ٧٦
 - ١٢- مطلع القصيدة ودلالاتها النفسية ، عبد الحليم حفني : ٢٩٣
 - ١٣- ينظر : مقدمة القصيدة في العصر الأموي ، حسين عطوان : ٣٦
 - ١٤- المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين : زياد محمود مقدادي : ٨٤
 - ١٥- ينظر : الفرزدق ، الفحام : ٣٧٦
 - ١٦- المصدر نفسه : ١ / ٩
 - ١٧- ديوان الفرزدق : ١ / ٦٨
- سويقة : موضع في صحراء الصمان ، الدهنا : زمال في ديار بني تميم ، الجواء : الوادي المتسع ، المتندمل من الجراح الذي برئ ظاهره وبقي داخله فاسدا ، التهياض : الانتكاس بعد العودة ، الجبلان : ما أجالته الريح من الحصى
- ١٨- الفرزدق ، الفحام : ١٥٧
 - ١٩- نظرية التأويل ، بول ريكو : ١٤٧
 - ٢٠- المصدر نفسه : ١٣٣
 - ٢١- قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥١٠
 - ٢٢- ديوان الفرزدق : ٢ / ١٢
- المشاعف:النساء اللواتي تشجع القلب،اي تحرقه بحبها، الصرمة:القطعة من الإبل، القائف:الذي يقفو أي يتتبع آثار الغيث.يريد أنهن ضربات غير بدويات، المعزب : الذي يعزب بإبله ، العوازف : الجن .
- ٢٣- قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥١١
 - ٢٤- المصدر نفسه : ٢ / ١٢
- الهجان:البيض،الدوائف:من داف المسك خلطه بالمسك ليختر،المتهانف:الضاحك ضحكا خفيفا،الرواعف:من رعف

- سال ، الجادي : الزعفران ، سفنه : شممته .
- ٢٥- الفرزدق ، الفحام : ١٣٨
- ٢٦- المصدر نفسه : ١٤ / ٢
- ٢٧- ديوان الفرزدق : ١٦ / ٢
- الأشباع : الذين يشايعون . قيل : هنا يعرض بغيره لأنه كان يبطئ ويتأني ، في حين أن ممدوحه يسرع .
- ٢٨- ينظر : قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥٠٨
- ٢٩- المصدر نفسه
- ٣٠- ينظر : الفرزدق ، الفحام : ٣٥٩
- ٣١- ديوان الفرزدق : ٢٣ / ٢
- ٣٢- ينظر : مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان : ٥٩
- ٣٣- ديوان الفرزدق : ٢٣ / ٢ - ٢٤
- ٣٤- ينظر : الفرزدق ، الفحام : ٣٧١
- ٣٥- ديوان الفرزدق : ٢٤ / ٢ - ٢٥
- ٣٦- البناء الشعري عند الفرزدق ، علاء الدين المعاضيدي : ٢٢٦
- ٣٧- قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥٠٩
- ٣٨- الفرزدق ، الفحام : ١٣٦
- ٣٩- ينظر : المصدر نفسه : ٩٢
- ٤٠- المرأة في الشعر الأموي ، فاطمة تجور : ٤٢
- ٤١- ديوان الفرزدق : ٨١ / ١
- ٤٢- ديوان الفرزدق : ٨١ / ١
- ٤٣- المصدر نفسه : ٨٣ / ١ ، خافوك : يريد أنهم خافوا القتل ، وتعجيل يوم الحساب لهم .
- ٤٤- المصدر نفسه : ٥٠ / ١
- أراد بغرابها : سوادها ، أي أن نفر الشيب الشباب فقد بقيت له لمة لم يطر غرابها ، أي لا تزال سوداء ، واللمة :

- الشعر المجاور شحمة الأذن ، سحابها : أيام صفائها .
- ٤٥- ينظر : ديوان الفرزدق : ٢٣١ / ١
- ٤٦- ينظر : قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥٤٠
- ٤٧- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان : ٨٦
- ٤٨- المصدر نفسه
- ٤٩- ديوان الفرزدق : ٢٨٣ / ١ ، وقع المطايا بنا : نزلنا للتعريس ، الأبيض المستطير : الصباح المنتشر .
- ٥٠- المصدر نفسه
- أصحاب القبور : أي أن الذين يدفنون تدار وجوههم إلى الكعبة .
- ٥١- المصدر نفسه : ٧ / ٢

الدائف : المريض ، تهيض: انكسر بعد الجبور ، السقائف: الجبارة أي العيدان أو الخرق التي تجبر بها العظام المكسورة ، الرادف: أي الكسر الذي جاء بعد الكسر الأول

^{٥٢} - ديوان الفرزدق : ٢ / ٧ - ٨ ، الصوارف: التي تصر، تصوت عند فتحها وإغلاقها

^{٥٣} - المصدر نفسه : ٢ / ٩

النواصف : التي نسفت الجلد والشعر

^{٥٤} - المصدر نفسه : ٢ / ١٠

الأثرين : الواحد أثرى العدد الكثير ، الزعانف : كل جماعة ليس لهم أصل واحد .

^{٥٥} - المصدر نفسه : ١ / ١٨٢

الاطلاح: البعير المهزول، وأراد هنا راكبي الاطلاح، أناخ بهم أبركهم، الجدد: العلامة ، أراد أول تباشير

الصباح، الشهر: الظاهر الواضح، الأقران: الأكفاء، قسا: موضع، يزجي: يسوق، المنتجع: الطالب .

^{٥٦} - المطلع التقليدي في القصيدة ، البلداوي : ٩٦

^{٥٧} - ديوان الفرزدق : ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧

الضرير: الذي اضر به التعب، وعن نفسه ، عرائكها : أسنمتها، التتوفة : المفازة ، الأين: التعب ، قالت:

نامت

القائلة عند الظهر، الزور: الزائر ، قتير: أراد به الشيب .

^{٥٨} - مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان : ٤١

^{٥٩} - ينظر : المراثة الغزلية في الشعر العربي ، عناد غزوان : ٢

^{٦٠} - ينظر : قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥٣٢

^{٦١} - المصدر نفسه

^{٦٢} - المصدر نفسه

^{٦٣} - المطلع التقليدي في القصيدة العربية ، البلداوي : ٩٩

^{٦٤} - ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧١

رويتين وحنبل: موضعان ، الاسطار : الأثر الخفي الذي محته الأمطار ، العجاج: الريح ، الملت: المطر

الدائم ،

الغبيات: المطر يشتد ساعة ثم يقلع ، الصوار: قطيع بقر الوحش .

^{٦٥} - الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية ، محمد عبد الواحد حجازي : ١٩٨

^{٦٦} - الفرزدق ، الفحام : ٣٧٩

^{٦٧} - قراءة ثانية لشعرنا القديم ، مصطفى ناصف : ٦٠

^{٦٨} - المصدر نفسه : ١ / ٣٧٢

الشمس: العسرات ، الأوانس : الواحدة أنسة ضد المتوحشة ، الكريمة: الحديث الذي لا فحش فيه ، الأغرار :

الواحدة

غرة التي لا خبرة لها بمكايد النساء ، مرفوعه: أي ما جهن به من الحديث ، سرار : مسارة لشدة حيائهن.

^{٦٩} - - المصدر نفسه

الإظهار : الدخول في الظهيرة ، ذريعتان : موضع ، الايقار : حمله حملاً ثقيلًا

٧٠- المصدر نفسه

٧١- المصدر نفسه

٧٢- المصدر نفسه : ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧

الزب : الواحد أزب ، الكثير الشعر ، أصفار : فارغة ، أي لاعقول لهم ، التقصار : القلادة ، يريد أن اكفهين

مشققة

من الخنمة ، الثبل : الحقد والعداوة ، الغمر : الجهال ، الافتار : أي لا يقعدون على ضيم .

٧٣- المطلع التقليدي في القصيدة العربية ، البلداوي : ٩٩

٧٤- ينظر : اتجاهات الشعر العربي في العصر الأموي ، صلاح الدين الهادي : ٣٣٣

٧٥- المصدر نفسه : ٣٣١

٧٦- التأويل بين السيميائية والتفكيكية ، اميرتو ايكو : ١٦٠

٧٧- ديوان الفرزدق : ٢ / ١٩٤

٧٨- قصيدة المديح ، وهب رومية : ٥٣٣

٧٩- ديوان الفرزدق : ٢ / ١٩٤

العادي : القديم ، ذو قار : موضع كان فيه انتصار العرب على العجم وكان الفضل في ذلك لأبطال بني شيبان

٨٠- ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل : ٥٩

٨١- ينظر : ديوان الفرزدق : ٢ / ١٥٩

٨٢- ينظر : المطلع التقليدي في القصيدة العربية ، عدنان البلداوي : ٢٠

المصادر:

- ١- اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، صلاح الدين الهادي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
- ٢- الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية ، محمد عبد الواحد حجازي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- ٣- البناء الشعري عند الفرزدق ، علاء الدين المعاضيدي (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢ .
- ٤- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث للهجري ، محمد نجيب البهيتي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ .
- ٥- التأويل بين السيميائية والتفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة ، سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
- ٦- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٦٤ .
- ٧- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية ، عبد الله الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط ١ ، ١٩٨٥ .
- ٨- ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٩- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ .
- ١٠- صورة المرأة في العصر الأموي ، فاطمة تجور ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ .
- ١١- الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة
- ١٢- الفرزدق ، شاعر الفحار ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٧ .
- ١٣- فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب ، فولفغانغ آيزر ، ترجمة ، حميد الحمداني ، والجيلالي الكدية ، منشورات مكتبة المناهل ، فاس ، ١٩٩٥ .
- ١٤- قراءة ثانية لشعرنا القديم ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- ١٥- قصيدة المديح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء والتجديد ، وهب رومية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨١ .
- ١٦- قضية التلقي في النقد العربي القديم ، فاطمة البريكي ، دار العالم العربي للنشر والتوزيع ، دبي ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .
- ١٧- المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ .
- ١٨- المراثة الغزلية في الشعر العربي ، عناد غزوان ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٤ .
- ١٩- المطلع التقليدي في القصيدة العربية (دراسة ونقد وتحليل)، عدنان عبد النبي البلداوي، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤ .
- ٢٠- مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية ، عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .
- ٢١- المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين ، زياد محمود مقدادي ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، ٢٠١٠ .
- ٢٢- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .
- ٢٣- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة ، سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ .

Sources:

1. Poetry trends in the Umayyad period, Salah al-Din al-Hadi, Al-Madani Press, Cairo, 1, 1986.
2. The ruins in the Arabian poetry Aesthetic study, Mohammed Abdulwahid Hijazi, Dar al-Wafa for printing and publishing, Alexandria, I 1, 2002 .
3. Poetic construction at Al-Farazq, Aladdin al-Mu'adidi (unpublished master's thesis), Faculty of Arts, University of Baghdad, 1992.
4. The history of Arabic poetry until the end of the third century of the Hijri, Mohamed Najib Bahbiti, the Egyptian Book House, 1950 .
5. Interpretation between the Sikh and the Exclusivism, Umberto Eko, translation, Saeed Benkrad, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, I 1, 2000 .
6. The development of the yarn between Jahiliyah and Islam from one of the Qais to Ibn Abi Rabia, Shukri Faisal, Damascus University Press, Damascus, I 2, 1964 .
7. Sin and atonement from the structural to the anatomical, Abdullah al-Turami, Cultural Literary Club, Jeddah, 1st, 1985 .
8. Diwan Al Farzq, Beirut House for printing and Publishing, Beirut, 1984 .
9. Poetry and Poets, Ibn Qutaybah (276 AH), inquiry: Ahmed Mohamed Shaker, Dar al-Ma'aref, Egypt, 1958.
10. The image of women in the Umayyad period, Fatima Tejoori, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1999.
11. Spinning in the pre-Islamic era, Ahmed al-Hawat, Dar Nahdet Misr, Cairo 12-al-Farzq, Shaker al-Faham, Dar al Fikr, Damascus, 1977
12. Read the aesthetic theory of responsiveness in literature, Wolfgang Weiser, translation, Hamid al-Hamdani, Jilali al-Kdiya, Books of the Library of the Manahel, Fez, 1995 .
- 13.-second reading of our old poetry, Mustafa Nassef, Dar al-Andalus for printing, publishing and distribution, Beirut, 2nd, 1981 .
14. The poem of praise until the end of the Umayyad period between origins, biology and renewal, and gave Romans, publications of the Ministry of Culture and National guidance, Damascus, 1981 .
15. The issue of receiving in the old Arab criticism, Fatima al-Braiki, Arab World publishing and Distribution House, Dubai, 1st, 2006 17-Women in pre-Islamic poetry, Ali al-Hashimi, al-Ma'aref printing Press, Baghdad, 1960 .
- 16.-The flirtatious in Arabic poetry, the stubbornness of Ghazwan, al-Zahra Printing press, Baghdad, Iraq, 1974 .
17. The traditional insider of the Arabic poem (study, Critique and Analysis), Adnan Abdulnabi al-Baldawi, People's Press, Baghdad, 1974 .
18. The beginning of the Arabic poem and its psychological significance, Abdelhalim Hefny, Egyptian general organization for the book, 1987 .
- 19.-Introduction to the modern critics, Ziad Mahmoud Miqadi, 1st World Book publishing and distribution, greater Amman Municipality, Jordan, 2010 .
20. Introduction to the Arabic poem in the Umayyad period, Hussein Atan, Dar al-Ma'aref, Egypt, 1974 .
21. Theory of interpretation speech and surplus meaning, Paul Rekor, translation, Saeed Ghanemi, Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, 2nd, 2006 .